

التحرير والتنوير

وقرأ الجمهور (تشق) بتشديد الشين . وقرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف الشين .

والغمام : السحاب الرقيق . وهو ما يغشى مكان الحساب قال تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم) في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر (تقدم في سورة البقرة . والباء في قوله (بالغمام) قيل بمعنى (عن) أي تشق عن غمام يحف بالملائكة . وقيل للسببية أي يكون غمام يخلقه) فيه قوة تنشق بها السماء لينزل الملائكة مثل قوة البرق التي تشق السحاب . وقيل الباء للملابسة أي تشق ملابسة لغمام يظهر حينئذ . وليس في الآية ما يقتضي مقارنة التشقق لنزول الملائكة ولا مقارنة الغمام للملائكة فدع الفهم يذهب في ترتيب ذلك كل مذهب ممكن .

وأكد (نزل الملائكة) بالمفعول المطلق لإفادة أنه نزول بالذات لا بمجرد الاتصال النوراني مثل الخواطر الملكية التي تشعشع في نفوس أهل الكمال .

وقرأ الجمهور (ونزل الملائكة) بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام ورفع (الملائكة) مبنيا للنائب . وقراه ابن كثير (ونزل) بنونين أولاهما مضمومة والثانية ساكنة وبضم اللام ونصب (الملائكة) .

وقوله (الملك يومئذ) هو صدر الجملة المعطوفة فيتعلق به (يوم تشق السماء بالغمام) وإنما قدم عليه للوجه المذكور في تقديم قوله (يوم يرون الملائكة) وكذلك القول في تكرير (يومئذ) .

والحق : الخالص كقولك : هذا ذهب حقا . وهو الملك الظاهر أنه لا يماثله ملك لأن حالة الملك في الدنيا متفاوتة . والملك الكامل إنما هو) ولكن العقول قد لا تلتفت إلى ما في الملوك من نقص وعجز وتبهرهم بهجة تصرفاتهم وعطاياهم فينسبون الحقائق فأما في ذلك اليوم فالحقائق منكشفة وليس ثمة من يدعي شيئا من التصرف وفي الحديث " ثم يقول) : أنا الملك أين ملوك الأرض " .

ووصف اليوم بعسير باعتبار ما فيه من أمور عسيرة على المشركين .

وتقديم (على الكافرين) للحصر . وهو قصر إضافي أي دون المؤمنين .

(ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا [27] يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلنا خليلا [28] لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا [29]) .

هذا هو ذلك اليوم أعيد الكلام عليه باعتبار حال آخر من أحوال المشركين فيه أو باعتبار حال بعض المشركين المقصود من الآية .

والتعريف في (الظالم) يجوز أن يكون للاستغراق . والمراد بالظلم الشرك فيعم جميع المشركين الذين أشركوا بعد ظهور الدعوة المحمدية بقرينة قوله (يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) ويكون قوله (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) إعلاما بما لا تخلو عنه صحبة بعضهم مع بعض وإغراء بعضهم بعضا على مناوأة الإسلام .

قصة من المعهود الخاص الاعتداء بالظلم والمراد . المخصوص للعهد يكون أن ويجوز A E معينة وهي قصة عقبة بن أبي معيط وما أغراه به أبي بن خلف . قال الواحدي وغيره عن الشعبي وغيره : كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية بن خلف وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما ودعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي A فقدم من بعض أسفاره فصنع طعاما ودعا رسول الله ﷺ فلما قربوا الطعام قال رسول الله ﷺ : ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا اله إلا الله فقال عقبة : أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ فأكل رسول الله ﷺ من طعامه . وكان أبي بن خلف غائبا فلما قدم أخبر بقضيته فقال : صأأت يا عقبة . قال : والله ما صأأت ولكن دخل علي رجل فأبي أن يأكل من طعامي حتى أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال أبي : ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا إلا أن تأتية فتبصق في وجهه فكفر عقبة وأخذ في امتثال ما امره به أمية بن خلف فيكون المراد ب (فلان) الكناية عن أبي بن خلف فخصومه يقتضي لحاق أمثاله من المشركين الذين أطاعوا أخلتهم في الشرك ولم يتبعوا سبيل الرسول ولا يخلو أحد من المشركين عن خليل مشرك مثله يصده عن متابعة الإسلام إذا هم بها ويثبته على دين الشرك فيتندم يوم الجزاء على طاعته ويذكره باسمه